

المدرسة البادسية عنوان مقاومة

المقاومة هي رد فعل طبيعي لكل جماعة اعتدي عليها، والشعب الجزائري قد اعتدى عليه الاستعمار الفرنسي ظلما وعدوانا واحتل أرضه بالقوة وسلبه حرية التصرف في أمور وطنه، فكان من الطبيعي أن ينهض لمقاومة هذا المعتدي بكل الوسائل، فقاوم و استمر يقاوم ببسالة وبكل الأساليب طيلة فترة الاحتلال ولم تهدأ حركات المقاومة إلى أن جاءت الثورة الكبرى عام 1954 التي غيرت مجرى التاريخ ووضعت حدا لنهاية استعمار دام قرنا وثلاث قرن ومكنت الشعب من استرجاع سيادته.

بقلم: الدكتور عبد القادر فضيل



المقدمة

السياسيين والعلماء المصلحين لمواجهة السياسة الاستعمارية وكشف فضائحتها والتتديد بجرائم الاستعمار ودعوة حكومة فرنسا إلى الوفاء بالوعود، ورفع المظالم عن الشعب والتخلي عن الغطرسة، ونود هنا أن نورد نموذجا حيا للمقاومة الثقافية التربوية التي تبنتها الحركة الإصلاحية في الوطن من خلال الحديث عن المدرسة البادسية وإبراز المبادئ التي قامت عليها تلك المدرسة التي كانت عنوان مقاومة قد أعطى المعلمون والمربون من خلالها جهدا فكريا وتربويا وعلميا كان البذرة الأساسية للعمل السياسي الثوري المناهض للاستعمار

إن مقاومة الشعب الجزائري للاستعمار لم تتخذ شكلا واحدا بل تعددت وتنوعت، وكان لكل مرحلة شكلها وأسلوب تنظيمها فكانت المقاومة المسلحة في البداية هي الأسلوب الملائم الذي واجهت به الوضع، ولكنها رغم الإصرار والتصميم لم تحقق الغاية المنتظرة منها، وهي صد العدو عن بسط نفوذه، فاتجهت الأمة بعد ذلك إلى نمط آخر من المقاومة هو المقاومة السياسية من جهة والثقافية التربوية من جهة أخرى من خلال تنظيم حركة وطنية شاملة تلتقي فيها جهود الزعماء

المدرسة البادسية

مما لا يخفى أن السلطة الاستعمارية الفرنسية بعد أن بسطت نفوذها العسكري والسياسي والإداري على أرض الجزائر ومكنت المستوطنين من السيطرة على ثروات البلاد بحيث أصبح كل شيء في أيديهم وتحت نفوذهم (الإدارة، التعليم، الدين، القضاء، الاقتصاد) بعد ذلك شرعت في توسيع الجهود الرامية إلى استكمال تنفيذ المخطط الاستعماري في جوانبه المتبقية والتي توجه أساسا إلى تدمير القيم الوطنية والدينية وطمس الجوانب الروحية النابعة من العقيدة الإسلامية، التي رأت هذه السلطة أن بقاءها نقيصة صافية ومغروسة في أعماق أفراد الشعب يحول دون تحقيق هدفها الذي رسمته والمتمثل في القضاء على الخصائص القومية والروحية والتاريخية، وإحاق الجزائر بفرنسا، وفي هذا الاتجاه رسم حكام الاستعمار خطة لمحاربة جهود العلماء الرامية إلى نشر العلم، وتلقين المعرفة وبعث الاهتمام بدراسة التاريخ والتراث، وكل المحاولات الإصلاحية التي تستهدف تصحيح العقيدة ونشر اللغة العربية وترقيتها وتعليمها، ومكافحة الخرافات والأباطيل، والرجوع بالمواطنين إلى أصول الإسلام الصحيحة، والصحة الوطنية، ونلمس جانبا من هذه الخطة الاستعمارية في تقرير لمحافظة الشرطة بالبرج¹:

المدرسة البادسية هي مجموع الأفكار والمبادئ والتوجهات التي أقام عليها الإمام بن باديس خطته التعليمية وجهوده الإصلاحية تلك الجهود التي ركز فيها على التعليم والتنقيف ونشر المعرفة وترقية الوعي، وإصلاح الفكر واللسان والعقيدة وتعبئة الجماهير لليوم الموعد للكفاح المسلح باعتبار هذه الجوانب كلها هي الغاية المستهدفة من وراء الخطة التي تبناها ومشروع التغيير الذي ظل يناضل من أجل تحقيقه سواء على مستوى جهوده الفردية أو على مستوى جهود جمعية العلماء التي كانت عنوانا بارزا في تاريخ النضال من أجل إثبات الذات والدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية تلك الجمعية التي واصلت المسيرة النضالية معه وبعده وفق النهج الذي خطه لها.

وقبل أن نتحدث عن المدرسة البادسية التي تنسب إلى مؤسس الحركة الإصلاحية في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي قضى ما يقرب من ثلث قرن من الزمن في الذود عن عروبة الجزائر وإسلامها وهويتها وانتمائها الحضاري بانتهاج سبل التعليم والتنقيف ونشر الوعي، وقبل ذلك يجب أن تشير إشارة عابرة إلى الظروف التي ولدت فيها هذه المدرسة.

ذلك اللقاء التاريخي الذي تم فيه التفكير في مشروع إصلاح يخرج البلاد من وضعيتها المتدهورة، كان ذلك عام 1913 لقد فكرا معا في إنشاء جمعية العلماء تكون مهمتها السير بهذه الأمة في طريق الدين والعلم والأخلاق وتعتمد التعليم والتتقيف، ونشر الوعي أساسا لكل إصلاح، لأن مواجهة الاستعمار الفرنسي يجب أن تبنى على معرفة الحقيقة التي جاء من أجلها والأفكار التي يحاول بثها، والمخططات التي يسعى لتتفيذها، ومن المعلوم أن الاستعمار الفرنسي جاء يحمل في ثناياه روحا صليبية شرسة غايتها قلع الشعب الجزائري من جذوره، وهدمه من أساسه، ونسفه من عمقه، وقد اتجه منذ البداية إلى تدمير العقائد والأفكار، وهدم القيم والأخلاق وتحطيم التقاليد، كل ذلك بمعاول خفية لا تراها العين بسرعة، فكان من مخططاته القضاء على النظم التربوية الإسلامية الأصلية وتعويضها بنموذج يتمشى مع أغراض السياسة الاستعمارية.

وغاية غايات تلك السياسة على مستوى التربية هي تخريج جيل من الجزائريين متتكر لأصالته بعيد عن دينه خارج عن حضارته، لا هو متشبع بروح دينه ومقتنع بعقيدته وأخلاقه، ولا هو متمكن من الروح الحضارية الغربية، لقد قذفت فرنسا - كما يقول الإبراهيمي - هذا الوطن بأربعة أنواع

"إن ازدياد نفوذ العلماء هو الخطر الحقيقي على السيادة الفرنسية، لأن هدفهم هو تكوين الإنسان المسلم، والإنسان المسلم هو الذي يرتبط بلغته وقرآنه، ولا يرضى بأي اندماج، ولا يقبل السياسة الاستعمارية، ويبدو من هذه العبارات التي أوردتها تقرير الشرطة أن سياسة الاستعمار في الجزائر منذ البداية قامت على تجاهل قيم الشعب بل على تحطيمها، والتتكر لحقوقه، وكرست كل الأساليب من أجل إحكام السيطرة التامة على البلاد باتباع سياسة القهر والتجهيل والتجويب والفرنسة والتتصير، وبكلمة جامعة: سحق الكيان الجزائري عن طريق إفراغ الأفراد من كل شحنة وطنية ودينية ومن كل شعور يربطهم بأصولهم وتاريخهم.

لذا كان لابد أن يرسم ابن باديس ومن معه خطة مضادة تكفل للوطن تكوين قاعدة شعبية متينة وواعية يمكن تجنيدها واعتمادها قوة في وقت المواجهة مع الاستعمار، ومن ثم كان لزاما أن تكون التربية أساس هذه التعبئة لأن التربية هي السلاح في كل الملمات. وهذا هو المشروع الذي كان أساس المدرسة الباديسية، ذلك المشروع الذي تصور ابن باديس عناصره وتجاوز مع زميله ورفيق دربه بعد ذلك - الشيخ البشير الإبراهيمي يوم التقى به في المدينة المنورة، في

وطني سياسي أو ديني أو تربوي يجب أن يتم على مراحل، فالمرحلة الأولى والعاجلة هي أن تتطرق الجهود من تعبئة الإنسان الذي هو أساس المعركة النضالية في إعداد المناخ الفكري الذي يغذي وعي الإنسان، ويوفر الأرضية الصلبة التي تتطرق منها المعركة، فهذا هو الضمان لانقاف الجماهير حول المعركة ونجاحها، لان مواجهة الاستعمار مواجهة عسكرية بدون إعداد سياسي وفكري و ثقافي للمواطنين الذين هم عدة هذه المواجهة وسلاحها لا يحقق النتيجة المرجوة .

الهدف الاستراتيجي

إن الهدف الاستراتيجي الذي وضعه ابن باديس نصب عينيه هو خدمة بلاده ودينه وثقافة أمته أي خدمة الجزائر والدفاع عن مقومات سيادتها جنسا ودينا ولغة وتاريخا، هدف واحد ولكنه يتضمن برنامجا شاملا للحركة الإصلاحية في أبعادها الدينية والتربوية والاجتماعية، أي خدمة البلاد وفق البرنامج الذي فرضته الظروف والحاجة إلى التغيير (تغيير هذه الظروف) وهذا تطلب منها نضاليا متعدد الواجهات:

1- واجهة التصدي للاستعمار وأعدائه وقوانينه الجائرة بالأساليب التي يتطلبها الوضع

من القوى مختلفة التأثير، متحدة الأثر، متباعدة المبادئ، ولكنها تلتقي عند هدف واحد هو التمكين للاستعمار، حاربه بأربعة أصناف من الأسلحة البشرية، أخفها فتكا هو الجندي، هذه الأصناف هي (الجندي، والراهب، والطبيب، والمعلم) وقد أجرت فرنسا لهؤلاء جميعا عملية التلقيح بمادة الاستعمار فلم يبق المعلم معلما علميا ولا الطبيب طبيبا إنسانيا ولا الراهب أبا روحيا وإنما جاء وافي ركاب الاستعمار لتجذيره وتثبيت أركانه

منطلق الخطة الإصلاحية

نظرا لهذه الظروف التي كان يعيشها مجتمعنا والتي أثرت تأثيرا بالغاف في نفسية ابن باديس لأنه كان يرى بعينه ما يعانيه الشعب من بؤس وجهل وحرمان وكان يؤلمه ذلك كما كان يؤلمه سكوت العلماء وجمودهم وتقاعسهم عن أداء واجبهم الوطني والديني، ففكر في الطريقة التي بها يقاوم سياسة الاستعمار ويكشف مناوراتهم، ويفشل مخططاته وفي الوقت ذاته ينبه الرأي العام إلى خطورة الاستعمار، ويهيئ الشعب وينفخ فيه الروح الوطنية التي تدفعه إلى الثورة على الظلم، وهذا ما قد حدث.

لذلك كانت الفكرة التي جعلها منطلق الخطة الإصلاحية هي أن مقاومة الاستعمار التي هي غاية كل نشاط

اعتمدتها جمعية العلماء في مدارسها
أساساً وموجهات للعمل التربوي من هذه
المبادئ:

التعلم حق للجميع

التعلم في نظر بن باديس من الحقوق
الأساسية التي يجب أن يمكن منها
جميع المواطنين وهو في الوقت ذاته
واجب على الجميع.

يقول في هذا الصدد "علينا أن ننشر
العلم في أبنائنا وبناتنا ونسائنا ورجالنا
على أساس ديننا و قوميتنا إلى أقصى
ما يمكننا أن نصل إليه من العلم الذي
هو تراث البشرية جمعاء"².

وبما أن الأساس الذي تقوم عليه
التربية في الإسلام هو تصحيح العقائد
وتقويم الأخلاق فلا بد من توجيه عناية
كبرى لتنشئة الأطفال تنشئة تقوم على
غرس الروح الإسلامية في نفوس
الناشئة، ولا يتم ذلك إلا بالعمل التربوي
الموجه لجميع الفئات، لأن حاجة
المجتمع إلى تنشئة أجياله تنشئة عربية
إسلامية من الضرورات الملحة التي
يدعو إليها الدين وتفرضها الوطنية.

الأولوية للبعد التربوي

يرى ابن باديس أن التعلم وسيلة
للتربية لأن الاقتصاد على تلقين
المعارف التي لا تمتد إلى تنمية تفكير
الإنسان وصوغ وجدانه وتهذيب سلوكه
لا يحقق رسالة التعليم التي هي في

2- العمل النضالي الفكري والسياسي
والثقافي الذي يستهدف توفير الظروف
النفسية والسياسية التي تسهم في تعبئة
ال جماهير التي سيدفعها و عيها إلى
تحرير البلاد وتخليصها من الاستعمار.

3- نشر العلم والمعرفة وتنقيف الناس
وإيقاظ وعيهم وتحريرهم من ضعفهم.

4- الإسهام في بعث اللغة العربية
التي كادت تفقد مقومات حياتها
،وتعليمها وترقيتها وجعلها وسيلة لبناء
الشخصية الوطنية.

5- تصحيح المفاهيم الدينية
والتاريخية والسياسية التي كانت تدور
في المحيط، أو بث الأفكار الثورية
الرافضة لحياة الذل والمهانة
والمناهضة لكل أشكال العنصرية،
والاستبداد والسعي لتهيئة العقول
لخوض المعارك المنتظرة.

6- محاربة الآفات والخرافات
والتصدي لكشف المناورات والأباطيل
والأكاذيب التي كانت تستهدف تضليل
الرأي العام وتخدير العقول.

ما هي مبادئ المدرسة الباديسية وأهدافها؟

إننا حين نتتبع تصورات ابن باديس
وآراءه في مجال التربية والتعليم يمكننا
استخلاص عدد من المبادئ والأهداف
التي تشكل فلسفته التربوية والتي

ب- اتجاه يوجه الاهتمام لمعايشة حقائق العصر والأخذ بأسباب التقدم.

لذلك كان يحث الشباب والطلاب على السير في اتجاهين: التمسك بهويتهم والارتباط بقوميتهم ومسيرة العصر والتفتح على العلوم الحديثة⁴.

التربية جهد ذاتي

التربية عند ابن باديس تتطلق من تربية الفرد لنفسه لأن عملية التغيير الذي هو لب العمل التربوي يبدأ من تغيير نفس الإنسان لأن المكلف المخاطب من الإنسان هو نفسه.

أما الأهداف فهي عديدة⁵:

1- العناية بإعداد الفرد وجعله سبيلا لإعداد المجتمع مع التركيز على الجانب الخلقى الذي هو جوهر التربية.

2- تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق من الأهداف التي ترتبط بإعداد الفرد: تصحيح العقائد وتهذيب الأخلاق، لأن بناء العقيدة وتهذيب السلوك الفردي والجماعي هو لب العملية التربوية.

وإعداد الفرد وفق التصور الإسلامي يتطلب العناية بمختلف سلوكياته (البدء بالبناء الداخلي)

3- تحقيق الكمال الإنساني

من الأهداف المتممة لتنشئة الفرد: السعي لتحقيق الكمال الإنساني، لأن

الأساس رسالة تربوية هادفة وابن باديس حين يتحدث عن التعليم لا يفصله عن التربية بل يجعله أحيانا مرادفا للتربية وهو المفهوم الذي استعمله القران.

لذلك يلح في كل مناسبة على الجمع بينهما نظرا للتلازم الذي يكون بين الوسيلة والغاية.

ربط العلم بالعمل

الحرص على التكامل بين العلم والعمل من صميم التربية في الإسلام و هو حقيقة من الحقائق الكبرى التي يقوم عليها الفعل التربوي المتطور، لأن قيمة العلم ليست قيمة مطلقة وإنما قيمته هي في التطبيق العملي الذي يترجم الحقيقة العامة إلى ممارسة ويجعلها فعلا حيا بين الناس، لذلك كان يدعو العلماء والمربين إلى تحقيق هذا الربط بين التعليم والحياة العملية، والتكامل الوظيفي بين العلم والعمل الذي به تزول الحواجز بين النظري والتطبيقي. ويصبح كل منهما دعما للآخر ومكملا له³.

المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة

من بين المبادئ التي تؤكدتها المدرسة الباديسية جعل العمل التربوي يسير في اتجاهين متكاملين : أ- اتجاه يرسخ القيم والاتجاهات الوطنية والدينية في نفوس المتعلمين

5- تثقيف عقول الناشئة وتحريرهم من الجمود

- من الغايات الأساسية تثقيف عقول الناشئة بالعلم، لأن العلم كما يرى ابن باديس هو الإمام المتبع في الحياة في الأقوال والأفعال والاعتقاد، وهو الأساسي الذي تقوم عليه نهضة الأمم، لذلك دعا إلى الاهتمام بالعلم بتعلمه ونشره، وتحمل المشاق في سبيله، وحذر من جعله مطية للشهرة و الجاه.

الغايات أو الأهداف بعيدة المدى

وتسعى المدرسة الباديسية من وراء هذه الأهداف الآنية تحقيق جملة من الغايات من ذلك:

- تكوين جيل متشبع بالفكر الإصلاحي

- خدمة الإنسانية ومساعدة الأفراد على النمو في هذا الاتجاه

- المحافظة على الشخصية الإسلامية العربية في الجزائر.

إذ تعد المحافظة على الشخصية الجزائرية بجميع مقوماتها اللغوية والدينية والتاريخية و الجنسية أهم الغايات الاستراتيجية الكبرى التي ظل ابن باديس يعمل في كل الاتجاهات من أجل إيجاد الشروط التي تسهم في تحقيقها، وقد أسهم نشاطه التعليمي والصحفي والإصلاحي بدور كبير في

إيصال الإنسان المتعلم إلى ما يصبو إليه، وما يستطيعه من كمال غاية من غايات التربية.

4- الشخصية المتكاملة

إن بناء شخصية الفرد وإعدادها إعدادا متكاملًا يشمل الجوانب العقلية والوجدانية والجسمية والاجتماعية والخلفية من أهم الأهداف التي كان ابن باديس يلح عليها ويدعو المربين إلى الاهتمام بها لأن بهذا الإعداد نكون مواطنين قادرين على مواجهة المخططات التي تسعى إلى تذويهم في كيانات غريبة عنهم.

- إن الكمال الإنساني متوقف على قوة العلم وقوة الإرادة وقوة العمل بحيث يكون هناك تكامل بين هذه القوى.

يقول ابن باديس: حياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها مبنية على هذه الأركان الثلاثة (الإرادة، الفكر، العمل) وهذه متوقفة على ثلاثة أخرى لا بد منها فالعمل متوقف على البدن و الفكر متوقف على العقل، والإرادة متوقفة على الخلق، والتفكير الصحيح من العقل الصحيح، والإرادة القوية من الخلق المتين، والعمل المفيد من البدن السليم فلهذا كان الإنسان مأمورا بالمحافظة على هذه الثلاثة (عقله وخلق وبدنه)⁶

انكبت عليها جهود ابن باديس وجهود العلماء الذين تابعوا مسيرته بعد وفاته.

بل يمكن القول إن هذا المحور هو الهدف الاستراتيجي الذي تنفرع عنه كل الأهداف الأخرى التي يأتي تعليم العلم في مقدماتها، وتحرير البلاد في نهايتها، فابن باديس لا يتصور مستقبلا آخر للجزائر إلا في ظل عروبتها وإسلامها، وهما ركنان أساسيان من أركان الشخصية الجزائرية.

أما الركن الثالث فهو الجزائر فالإسلام بترائثه الروحي ونظراته الايجابية للحياة، والعروبة بقيمها العربية، والجزائر بماضيها المجيد ومستقبلها الزاهر، هي المكونات الثلاثة للشخصية الجزائرية في رأي ابن باديس وهي التي صاغ على أساسها شعاره المعروف "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا".

ومن أقوال البشير الإبراهيمي التي تصب في هذا الاتجاه قوله: "لا توجد أمة إلا بتثبيت مقوماتها من جنس ولغة ودين وتقاليد صحيحة وعادات صالحة وفضائل أصيلة، ولتصحيح عقيدتها وتربيتها على الاعتداد بنفسها والاعتزاز بقوتها المعنوية. والإمعان في ذلك كله حتى يكون لها عقيدة راسخة تتأصل عنها وتستमित في سبيلها، وترى أن وجود تلك المعوقات

إبقاء الجزائر محافظة على عروبتها، متمسكة بإسلامها، وبارتباطها الحضاري وانتمائها الثقافي، رغم مخططات الاستعمار، ورغم العوائق والمعوقات التي كانت تقف في طريق النشاط الباديسي، وجهود جمعية العلماء التي كانت امتدادا لهذا النشاط.

المضمون التعليمي

أما المضمون التعليمي الذي كان يركز عليه في المدرسة الباديسية فقد حددته نظرة ابن باديس إلى الإنسان وإلى المعرفة والغاية من التعليم والواقع الاجتماعي والهدف من الخطة التربوية التي كان هدفها الأساسي ترقية العقل، وتركيز النفس وتصحيح الرؤية للواقع، وتهذيب السلوك، وكل المعارف التي تخدم الإنسان المسلم، وتذكي وعي الإنسان الجزائري.

ويؤكد ابن باديس في مجال المضمون التعليمي نوع المحتوى فيقول: إن الذي يوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق.

إن المضامين التعليمية في جوانبها المتعددة كان الهدف منها إرساء قواعد الشخصية الوطنية ودعم مكوناتها من لغة ودين وتاريخ ووطن لذا فالمحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري من أهم المحاور التي

عام 1928 تلك الخطة التي تشكل برنامج عمل.

النص: بعد أن حاور ابن باديس الحاضرين في هذا الاجتماع حول أوضاع البلاد وما تتطلبه هذه الأوضاع من نضال وتضحية. عرض عليهم خطة عمل مؤلفة من العناصر التالية:

- إنشاء المدارس الحرة لتعليم العربية و التربية الإسلامية
- الالتزام بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد لعامة الناس في المساجد الحرة.

- الكتابة في الصحف والمجلات لتوعية طبقات الشعب

- إنشاء النوادي للاجتماعات والخطب والمحاضرات.

- إنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب.

- العمل على إنكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية والخضوع للحكم الأجنبي⁸

وفعلا هذه النقاط كانت البرنامج الذي سارت عليه جمعية العلماء بعد إنشائها

ثالثا: ونعرض هنا نصين آخرين يبينان حدة الصمود الذي اتسمت به مواقف جمعية العلماء وعلى رأسهم الإمام ابن باديس.

شرط لوجودها فإذا انعدم الشرط انعدم المشروط.

بعض النصوص التي تلخص هوية المدرسة الباديسية وصراعها مع السلطة الاستعمارية والصمود الذي اتسمت به مواقف العلماء الساهرين على هذه المدرسة:

أولا: القانون الأساسي لجمعية التربية والتعليم الإسلامية التي كانت بمثابة هيئة علمية عليا يستمد منها التعليم الحر التابع لجمعية العلماء توجهاته وأهدافه.

النص: يبنى القانون الأساس للجمعية

1- من الوجهة التربوية: على تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم.

2- ومن الوجهة التعليمية على تنقيف أفكارهم بالعلم باللسانين: العربي والفرنسي

3- ومن الوجهة العملية: تعليمهم الصنائع

4- ومن الوجهة المالية: تعويد الأمة على التبرع المنظم في المشاريع التي تعود عليها وعلى أبنائها بالنفع العام⁷

ثانيا: خلاصة الخطة التي عرض ابن باديس تفاصيلها على من يمكن تسميتهم برواد الإصلاح، في إطار التحضير لإنشاء جمعية العلماء المسلمين في

النص 1: للبشير الإبراهيمي، يقول فيه "بدأت دعوة المعلمين إلى المحاكم ونقدر أنها ستعم، وأن أول المطر قطرة، وأن الأحكام ستكون بالغرامة والسجن ولكننا سندخل المحاكم برؤوس مرتفعة ونستقبل الأحكام بنفوس مطمئنة وسندخل السجون بأعين قريرة، وسنلتقي بإخواننا المجرمين في مجالس الأحكام، ومقاعد الاتهام، وحسينا شرفا أن يكون ذلك في سبيل ديننا ولغتنا وحسبنا فخرا أن تكون التهمة فتح مدرسة بدون رخصة، وحسب الاستعمار ديمقراطية أن يحاكم معلمي العربية و الإسلام ويسجنهم على التعليم كما يحاكم المجرمين ويسجنهم على الإجرام في محكمة واحدة وفي سجن واحد".⁹

النص 2: لابن باديس حرر ابن باديس هذا النص بعد صدور قرار مارس 1938 الذي يحرم التعليم الحر و يلزم كل من أراد فتح أقسام تعليمية باستصدار ترخيص بذلك وإلا تعرض للغرامة والسجن، يقول ابن باديس في هذا الشأن: "أعداء الأمة يجمعون أمرهم ويدبرون كيدهم فيستصدرون من الحكومة قرارا وزاريا بعقوبات صارمة على من يمارس التعليم ليهدموا الشخصية الإسلامية من أصلها وليقتضوا عليها بالقضاء على مادة حياتها، علموا أن لا بقاء للإسلام إلا بتعلم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه

وأن لا تعليم له إلا بتعليم لغته، فناصروا تعليمها العداء، وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه واليلاء، فمضت سنوات لغلق المكاتب القرآنية ومكاتب التعليم الديني العربي، والضن بالرخص، واسترجاع بعضها حتى لم يبقوا منها إلا على أقل قليل، ولما رأوا تصميم الأمة على تعلم قرآنها ودينها ولغة دينها، واستبسال كثير من المعلمين في القيام بواجبهم، واستمرارهم على التعليم، رغم التهديد ورغم الزجر والتغريم. لما رأوا هذا كله سعوا سعيهم حتى استصدروا قانون العقوبات الرهيب... إلى أن يقول: "سنمضي بعون الله في تعليم ديننا ولغتنا، رغم كل ما يصيبنا، وإننا على يقين من أن العقوبة- وإن طال البلاء- لنا، وإن النصر سيكون حليفنا، لأننا قد عرفنا إيماننا وشاهدنا عيانا أن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما، ولو اجتمعوا كلهم على محاربتهما"¹⁰.

الخلاصة

إن المدرسة الباديسية التي ذكرنا بعض جوانبها ليست المؤسسة التعليمية التي جعلها ابن باديس وسيلة لتربية الناس وتعليمهم دينهم ولغتهم وتاريخهم فحسب وليست الدروس العامة التي ظل يلقيها هو وصحبه في المساجد والنوادي فحسب إنما المدرسة الباديسية هي الخطة الإصلاحية الشاملة التي كان الهدف منها تغيير الواقع، ورفع

الثوري، وغرس الروح الوطنية المناهضة للاستعمار. وهي أيضا الفكر السياسي والديني الذي يعتمد العلماء في مجالات نشاطهم وفي مناقشة الأفكار المضادة، وفي تناول القضايا التاريخية والسياسية والدينية المتعلقة بحقيقة الوطن والوطنية، وتبصير الناس بما يجب عمله، دفاعا عن الشخصية الوطنية وحماية لها وتكريسا للعمل المنتج النافع.

انتهى

مستوى وعي الجماهير وتعبئتها، لمواجهة مخططات الاستعمار، والتهيؤ لتغيير الواقع المفروض.

فالمدرسة الباديسية هي أعم وأشمل، فهي الأفكار السياسية والمبادئ الأخلاقية والتوجه الحضاري العام، فهي النظام الذي تبنته الحركة الإصلاحية في مشاريعها، وهي التعليم الذي كان يستهدف تكوين جيل متشبع بالروح الوطنية، وهي الصحافة التي كانت منبرا لنشر الوعي، وإذكاء الحس

الهوامش

- 1- مازن مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، ص83
- 2- الشهاب، ج3 م15 ربيع الأول 1385
- 3- عبد القادر فضيل، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس ص167
- 4- نفس المصدر، ص171
- 5- انظر، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، عبد القادر فضيل بالاشتراك ص200 وما بعدها
- 6- مجالس التذكير، للشيخ عبد الحميد بن باديس، ص269
- 7- نشرة جمعية التربية والتعليم 1936
- 8- مذكرات خير الدين ج83/1
- 9- عيون البصائر دار المعارف 1963
- 10- البصائر 1938/4/8